

التكوين الفكري السوسيولوجي للكتابة النسوية

دراسة في المنجز الفكري النسوي العربي

**the genetics of sociological thought in women's writing
the case of a feminist thought work**

د/سليم بركان

جامعة محمد ملين دباغين (الجزائر) salimborkane@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 13-06-2022 تاريخ القبول: 11-12-2022 تاريخ النشر: 31-12-2022

ملخص:

تتناول هذه الدراسة الموسومة بـ: التكوين الفكري السوسيولوجي للكتابة النسوية-دراسة في المنجز الفكري النسوي-جوانب مفهومية لها علاقة بتكوينية المصطلح: الفكر النسوي/الكتابة النسوية/الأدب النسوي وغيرها، وأخرى إجرائية لها علاقة بدراسة تكوينية الخطاب الفكري السوسيولوجي النسوي من خلال دراسة مختلف الأنساق السوسيولوجية المتمفصلة ضمن الخطابات الإبداعية النسوية، التي لها علاقة بمختلف التلقيات الذكورية والأنثوية للكتابة النسوية الراهنة.

الكلمات المفتاحية: فكر نسوي. أنثوي. نسق. ذكوري. خطاب

Abstract:

The present study, entitled "The Genetics of Sociological thought in women's writing, the case of a feminist thought work, deals with conceptual aspects linked to the term formative: feminist thought, women's writing, feminist literature....etc. in addition, the study is devoted to study practical aspects in relation to the formative of feminist sociological thought discourse. This is done through studying the different sociological systems which are detailed in feminist creative discourses. The later focuses on the male and female reception for the current feminist writing.

Keywords: Thought, feminist, female, system, male, discourse.

المؤلف المرسل: سليم بركان، الإيميل: salimborkane@yahoo.fr

يبدو أن الحديث عن إشكالات الفكر/ الأدب النسوي في الوطن العربي، يجعلنا نقر بصعوبة تحديد التكوينية الفكرية السوسولوجية لهذا النوع من الإبداع الإنساني، ويرجع السبب في ذلك إلى الإيديولوجيا الذكورية المسيطرة على ساحة الإبداع الفكري والأدبي العربي ردحا من الزمن، فالأدب النسوي وجد منذ الأزل، ولا يمكن تجاوزه أو حتى اختزاله بيولوجيا أو إيديولوجيا، وهذا حتى لا نقع في دائرة التجاوز، لذلك فإن الساحة الأدبية والنقدية العربية المعاصرة، عجت بهذه الإبداعات النسوية، فاختلف البحاثة والنقاد بين رافض ومتقبل لهذا النوع من الإبداع الذي تكتبه المرأة، ف "إدوارد سعيد" ينطلق من فكرة التمييز بين الأدبين الذكوري والأنثوي، وعلى أساس وضع الحدود المفهومية لهذه الإبداعات النسوية، التي ينظر إليها من أن: «الأدب الذي تكتبه المرأة يسمى بالأدب النسوي وأما الأدب الذي يعبر عن موقف محدد عقائدي، فهو ينبع من التعلق بما يعتقد صاحبه، أو تعتقد صاحبتة، بأن له سمات خاصة بالأنثى ورؤاها للعالم وموقفها فيه، فإنه يسمى بالأدب الأنثوي» (حفناوي، 2011، صفحة 116)، مما يعني ضرورة وضع الحدود المفهومية لهذا الإبداع من أجل بناء إطار تصنيفي، يضمن لهذا النوع من الأدب مشروعية حضوره في الساحة الأدبية العربية، ومن ثمة تلقية سواء في إطاره المصطلحي أم الموضوعاتي أم الجمالي، أي النظر -حسب إسكارييت- إلى مسارات التكوينية الأولى للعملية الإبداعية لأي مبدع وقبل أن ترى النور في شكلها الإبداعي سواء أكان رجاليا أم نسائيا (إسكارييت، 1981، صفحة 41).

2- المسارات المفهومية للمصطلح: من الرؤية إلى الاجراء.

الفكر النسوي/ الأدب النسوي/ الكتابة النسوية/ الإبداع الأنثوي، مصطلحات كلها متداولة بين البحاثة والدارسين في مجال الدراسات الفكرية و الأدبية والنقدية والثقافية المعاصرة، هذا بالإضافة إلى أنها تبدو في غاية الصعوبة والتعقيد في إطار تداولياتها ضمن الخطاب الفكري النقدي المعاصر، ذلك أن البحث في مسار تداولياتها

التكوين الفكري السوسيولوجي للكتابة النسوية دراسة في المنجز الفكري النسوي العربي

في الساحة الفكرية النقدية العربية المعاصرة، فيه كثير من المغايرة والغامرة، ولعل هذا ما تصبو إليه هذه الورقة البحثية في بعض جوانبها الإشكالية المصطلحية، ومن ثمة فإن الحديث عنها جعل المشتغلين في حقلها الفكري السوسيولوجي يربطونها بمختلف أشكال الحضور الفكري/ الأيديولوجي التي قوبلت في الساحة الفكرية العربية بالقبول مرة وبالرفض مرة أخرى، وبين هذا وذاك، دعا بعض المفكرين والدارسين والنقاد إلى بضرورة تجاوز صريح ومطلق للثنائية المصطلحية: فكر/أدب ذكوري/ أنثوي، من منطلق أن الطبيعة المصطلحية والمفهومية لهذه الإشكالية لا تقبل التمييز، ذلك أن تكوينية الفكر/الإبداع سواء في بنائه المصطلحي و الفكري النقدي والأدبي النسوي ليس أيديولوجيا وبيولوجيا، وهذا ما أكدت عليه "غادة السمان" في معرض حديثها عن التكوينية البيولوجية للإبداع، ذلك أن: «الأدب/ الفكر لا أعضاء أنثوية له ولا أعضاء ذكورية له، لهذا من الإجحاف الإقرار بمصطلح يرسخ التصنيف، كما أن التفريق بين كاتب/ كاتبة هو إحياء للوآد، فبمجرد أن يكون رجل له الحرية في الكلام في الممنوع واللامنوع ، وأما إن كانت امرأة فالأمر خلاف ذلك، وبذلك يفكر المجتمع بطرائق وأدها عن طريق الإقصاء/ الاتهام الباطل بالعهر الثقافي وغيره مما يحدث في الساحة الأدبية النقدية العربية اليوم، رغم انتشار الأصوات النسائية وتعددتها واختلاف توجهاتها الأيديولوجية» (السمان، 1981، صفحة 211)، مما يعني في جانب آخر استحالة إقامة تقسيم بيولوجي من جهة وآخر أيديولوجي من جهة أخرى، أي ضرورة نفي الخصوصية البيولوجية للأدب أولا وتجاوز مطلق للمرجعيات الأيديولوجية ثانيا، مع الإقرار بأن كلا من الجنسين يعيشان في بيئة سوسيولوجية قد تكون متشابهة كما قد تكون مختلفة، إلا أنها تبقى جوهريا واحدة، وهذا ما أكد عليه -إسكاريت- في معرض حديثه عن سوسيولوجيا الأدب سواء كان من الرجل أو المرأة، فإن هذه الثنائية لا تشكل أهمية كبيرة في مجال الإبداع الفكري، مع عدم سريانها كفاعلية نوعية "جماليا" بل هي تسري في المجال الاجتماعي أكثر من الفني، وهو التصور الذي تبنته -بمنى العيد- في معرض بناء تصورهما السوسيولوجي الفكري النسوي، مؤكدة على أن الخصوصية الفنية للإبداع النسوي غير ثابتة، بل هي خاضعة للصيرورة الاجتماعية من خلال أن الإبداع يتخلق داخل ظروف سوسيو فكرية و ثقافية

سليم بركان

وحضارية، مما يعني في جانب آخر أن فكر/إبداع المرأة يستمد خصوصيته الأجناسية من العناصر السوسيو
زمكانية التي لها علاقة بمختلف عوالم المرأة الصغيرة والكبيرة، المعبرة عن هواجسها وهمومها الذاتية لا العيرية
التي تشكلها وفق الوعي الممكن المتواري في إبداعها فيتشكل: «لونا من الكتابة الخاصة فلربما قصد بها
شيء من البوح والمكاشفة، تحكي فيه المرأة بمحدودية عن ذات جسدها» (كيوان، 2003، صفحة 17)
القائم على انجاز/ صناعة خطاب مضاد يسعى للتحرر من الخطاب السائد القائم على القهر والمعاناة
والتهميش، التي تتكبدها المرأة في المجتمع الذكوري، بحيث احتكر فيه الرجل إسهاماتها الإبداعية المختلفة،
مما جعل تجربتها الفكرية/ الأدبية حبيسة الأيديولوجيا الذكورية المتمفصلة رداً من الزمن في الثقافة العربية،
مما أصبح ينظر إلى: «النساء في معظم الفكر/ الأدب الذي يكتبه الرجال على أفن آخر الأشياء، ليس
لهن قيمة إلا بمقدار ما يخدم أهداف البطل الذكر أو تُنتقص منهن، ليصبح هذا الأدب غريب عن وجهة
نظر الأنثى لأنه ينكر شخصيتها (نيوتن، 1991، صفحة 117)»، وفي ظل هذا القهر الفكري والأدبي
والثقافي، أصبحت الكتابة الإبداعية بالنسبة للمرأة العربية المتنفس الوحيد لها، من أجل التعبير عن حضور
ذاتها ضمن هذا الوجود الذكوري، لكن بالرغم من ذلك تبقى الكتابة النسوية محملة بإيديولوجية أنثوية
تحاول المرأة استحضارها بشكل أو بآخر، من أجل أن تثبت فكرة التصنيف بينها وبين الرجل في الإنتاج
الأدبي، وعلى الخلفية المرجعية البيولوجية للإبداع، فقد رفض الكثير — كما قلنا — من الدارسين تداول هذه
المصطلحات من جهة وتعاطي قضية وإيديولوجية الفكر/ الإبداع النسوي من جهة أخرى، ويرجع ذلك
إلى عدم ثبات هذه الخصوصية الفكرية السوسيولوجية التي تبقى رهينة التحول والتفسير من ظرف لآخر،
حيث ومتى تجاوزت المرأة مختلف هذه الظروف السوسيوثقافية المحملة بأشكال القهر والتهميش في مجتمعاتها،
سينجر عنه خفوت لهذه الخصوصية الأنثوية المتراكبة على مستوى الإبداع، فهي تشكل بالنسبة للمرأة:
«تطهير للنفس وإبرام عقد مع الزمن، إنها دمع، وتميز وتدمير للخطاب الذكوري، كل هذا يحقق للمرأة
متنفساً وارتياحاً كبيرين، فالكتابة إذن هي التنفيس عن الذات إنها الحياة والكينونة» (المدغري، النقد
النسوي حوار المساواة، 2009، صفحة 110)، مما يعني في جانب آخر أن فعل الكتابة النسوية فعل

التكوين الفكري السوسيولوجي للكتابة النسوية دراسة في المنجز الفكري النسوي العربي

سوسيولوجي، قبل أن يكون بيولوجي، ذلك أن المرأة تبحث عن تأدية أدوار مساوية مع الرجل في المجتمع، مما يجعلها في عمق خطاباتها الإبداعية تبحث عن أساليب العدالة والمساواة مع الرجل، وربما هي الغاية المضمره التي ينشدها الخطاب الفكري و الإبداعي النسائي بشكل أو بآخر، ذلك أن الكتابة النسوية في عمقها -حسب معنى العيد- هي كتابة مضادة للسلطة المركزية الذكورية من أجل خلق فضاء نسوي لها مع فضاء الرجل، وهذا بالرجوع إلى مختلف المرجعيات السوسيولوجية التي لها علاقة بخلق هذه الوضعيات السوسيوثقافية من قبيل عدم السقوط في وضعية الاستيلاء، ومن ثم استوجب التعامل مع تكوينية الكتابة الفكرية النسائية كفعل ابداعي قائم على: «التحرر والتعبير عن الكينونة، يتميز بأنه قيمة خاصة لدى المرأة الكاتبة، كما يمثل وسيلة تمكنها من اثبات وجودها وتأكيد هويتها حتى تتوصل إلى تحقيق كيائها وتحسيد مختلف الأدوار الاجتماعية، ومن ثم تشكل الكتابة أفق خلاص لها» (بوشوشة، 1999، صفحة 237)، مما يعني في جانب آخر ان حريتها في الفكر و الابداع مستلبة بفعل الوضعية السوسيوثقافية والأيدولوجية التي تتمفصل ضمنها، لذلك يبقى الابداع يشكل لها مغامرة تعود إليه كلما أرادت أن تسترد مكانتها المتوارية، فتكتب وتكتب، إنها لحظة العودة التي تتصالح فيها مع هذا الواقع الذكوري المتسلط، بحيث يلزمها تقبل مرتبتها "الاجتماعية" الدونية المستمدة من تكوينها البيولوجي والايديولوجي، وعلى هذه الخلفية رفضت -معنى العيد- إقامة تصنيف للفكر/ للأدب سواء في إطاره الإنساني العام أم الأنثوي على الخصوص، وذلك أن: «الفكر/الأدب يمثل نتاج ثوري يلغي مقولة التمييز بين الأدب النسائي، كما يلغي الخصوصية النسائية كطبقة تعيق مساهمتها في ميادين الإنتاج "الاجتماعي" والتي منها الأدب(العيد، 1991، صفحة 155)» مما يعني أن -معنى - مسرة على ربط تكوينية الكتابة الفكرية و الأدبية النسائية بمختلف الأنساق السوسيوإيدولوجية المتمفصلة في ثنايا الأعراف الثقافية العربية، مما يجعل الذات المبدعة متجاوزة لفرديتها ومندمجة ضمن خطاب التحرر/ الثورة القائم على: «ضرورة كتابة المرأة عن المرأة من أجل أن تضع ذاتها داخل النص، وأن تكتب المرأة عن المرأة وتدعو النسوة إلى اقتحام عالم الكتابة باسم الخصوصية لأجل التطلع إلى الجديد وإعادة تأنيث الفكر والمجتمع» (المدغري، النقد النسوي وحوار

سليم بركان

المساواة، 2009، صفحة 112)، وعلى خلفية سياق تجاوز المرأة المبدعة لمختلف السياقات السوسيو إيديولوجية خاصة منها المحملة بالقهر والتهميش والتسلط في البيئة العربية، إلا أنها لم تستطع أن تختزل هذه الخصوصية ضمن مسارات الابداع المختلفة، على الرغم من التصور السوسيوولوجي الذي تبناه البحاثة لها، من أن ابداعها مشروط باندماجها كلياً مع الواقع الذكوري.

وبناء عليه يمكن التأكيد، على أن خصوصية الكتابة الفكرية النسوية في الوطن العربي غير ثابتة، وليست طبيعية في جانب آخر، بل أن تكوينيتها الإبداعية النسائية، تنبثق من مختلف الظروف الاجتماعية والسياقات الثقافية والإيديولوجيات السائدة في المجتمعات العربية، ذلك أن مشكلات المرأة في بيئتها الطبيعية والاجتماعية هي في الوقت نفسه، تشكل عناصر فاعلة في تكوين ابداعها الفكرية والأدبية، التي لها صلة مباشرة بمختلف مشكلات مجتمعاتها، التي تعيش في كنفها، لذلك فإن الحرص على تأكيد هذه الخصوصية الأنثوية في الأدب، قد تتحقق من خلال تجاوز مختلف أشكال القهر المسلطة على المرأة وأدبها.

2- البناء السوسيوثقافي للكتابة النسوية العربية:

إن محاولة فهم مختلف أنساق التكوينية الفكرية و الإبداعية للمرأة، يجعل الدارس يعيد النظر في فهم البناء التكويني الفكري لمختلف أشكال الوعي التي يمثلها الأفراد في مجتمعاتهم، من خلال البنية الذهنية التي تميزهم عن باقي الجماعات الأخرى، فهي تنسم في المجتمعات العربية بأنها متجاوزة للذات الأنثوية من خلال التأكيد المطلق لحضور الذات الذكورية، في صناعة كل الابداعات الفكرية والأدبية، ومن ثمة تحققت وتمكنت الإيديولوجية الذكورية من التسلل إلى متهات الابداعات التي تنتجها المرأة، من خلال تغييب وعيها وذاقتها الإبداعية، فتصدر في الأوطان العربية: «الفكر الأبوي والإيديولوجيات التي اجتاحت كافة الكتابات العربية...» وهو مسار يعزز سمات الذكورية في حقول الصورة على المذكر، وبالمقارنة مع هذه المركزية تنسم المرأة بالهامشية والدونية، وتعرض على أنها كمالية، ثانوية، أو مضادة لرغبات الرجل ومؤسساته» (حفناوي، 2011، صفحة 166)، ومن ثمة فإن البحث في التكوينية السوسيوولوجية للكتابة النسائية، يجعلنا لا ننطلق من البحث في الفوارق البيولوجية بين الرجل والمرأة، بل محاولة فهم ثم تفسير

التكوين الفكري السوسيولوجي للكتابة النسوية دراسة في المنجز الفكري النسوي العربي
موقعية فكر المرأة العربية كذات مبدعة ضمن أفراد المجتمع الذكوري، بالإضافة إلى السياق الأيديولوجي السائد والقائم في المجتمعات العربية على النسق الذكوري.

وعليه فالتركيز على المرجعيات السوسيو إيديولوجية للوضعية التي تحتلها المرأة في المجتمع، هي من تمنحنا مشروعية فهم وتفسير الأفق السوسيولوجي الفكري، الذي يعانق فعل الكتابة الفكرية النسوية في الوطن العربي، الذي ينهض فيه على فكرة الهيمنة الذكورية، التي تحولت عبر الزمن إلى معتقد ساهم في تكوين الوعي الأسوء لصورة المرأة، ذلك أنها: ارتبطت في الثقافة العربية بعنصر الجسد الأنثوي الشبقي/ الجنسي، وقد تجلت هذه الصورة أكثر في فكر/ ابداع الرجل لها، من خلال تمثل لغة شبكية جعل من المرأة ذات هامشية من خلال محاصرة جسدها وعقلها في بوتقة الجنس، فارتسم الجسد ابداعا وتناسب شبكية، فتجلت معايير الجمال الأنثوي التي تفصلت في: الخضوع/ الصمت/ اللاحركة، وهي الأدوار التي أدتها المرأة في المجتمعات العربية من منطلق: «أن دورها الرئيس هو الخضوع والخنوع الكلي للآخر و المعربة عن الإقرار والاستحسان والتبجيل»(عبد الرحمان عبيد، 2008، صفحة 32).

3-نسق التهمك الذكوري على الأدب الأنثوي

إن فهم أنساق خطاب فكر التهمك الذكوري على الأنثوي الإبداعي، يجعلنا نحتكم لمختلف المرجعيات السوسيولوجية والأيديولوجية، التي تجلت بمختلف أفكار و ابداعات المرأة في الساحة الفكرية و الأدبية العربية، فالعودة إلى المدونات الفكرية/ الإبداعية، التي أبدعت فيها المرأة العربية يجعلنا نتلمس/ نتحسس موقعيتها الفكرية الهامشية داخل المجتمعات العربية، بحيث أن الكثير من المبدعين قللوا من شأنها الفكري و الإبداعي، فهذا -النفذاري- في كتابه: نزهة الخاطر في الروض العاطر"، رسم فكر المرأة كذات مبدعة ضمن موقعيه هامشية ووضعية شبكية تتناسب ومكانتها الطبيعية والمجتمعية في المجتمع، بل ورجَّحَ بها في دهاليز المسخ الفكري، وقد تجلَّى ذلك في معرض سرده التهمكي "لامرأة" كانت تلقب بحكيمة زمانها، فقيل لها: أين تجدن العقل معشر النساء؟ قالت: بين الأفخاذ.

سليم بركان

وبناء عليه يمكن التأكيد على نسق خطاب التهكم على المرأة الحكيمة من جهة وعلى موقعيتها الدونية بالنسبة للرجل من جهة أخرى، وقد تجلّى ذلك من خلال: الأفخاذ، حكيمة، وغيرها، وفي سياق التهكم/ التحقير، يذهب "خير الدين نعمان بن أبي الثناء" الذي عارض وبشدة تعليم النساء القراءة والكتابة، إذ يؤكد على أن أضر شيء بمن هو تعليمهن "الكتابة"، ذلك أنهن مجبولات على الغدر والشبق، إنها المفسدة الحقيقية لذوقها ورغباتها وأخلاقها كما يقول "الملاحظ"، فهذه التصورات والآراء المضادة شكلت خطابا التهكمية في الأساس على فكر المرأة ثم كذات مبدعة من منطلق النسق الثقافي الذكوري المضاد لها، بشكل أم بآخر، والذي تأكد حضوره في الساحة الفكرية الأدبية العربية القديمة، من طرف بعض الأدباء والمفكرين.

إن أية محاولة لفهم وتفسير التكوينية السوسولوجية للكتابة النسائية، يستدعي ربطها بمختلف الجوانب السوسيوثقافية والأيدولوجية السائدة في تلك المجتمعات، فهذا الشاعر المعاصر - نزار قباني - الذي ارتبط ابداعه بالمرأة، بحيث احتفى بها ابداعا وهمشها اجتماعيا، من خلال تسلل لبعض أنساق الخطاب الذكوري في تشكيله الإبداعي، من خلال ابراز عناصر الخطاب الشبقي "جسد المرأة"، كل هذا جعله يرسخ للمتلقّي فعالية نسق الخطاب الذكوري على الأثنوي، عبر سياق الخطاب الشبقي المتشكل من ألفاظ: الخصر، النهدي، العيون، وغيرها، فهو بالكاد يلغي الكينونة الفكرية و الروحية للمرأة بتأكيد لعناصر خطاب الجسد التي اشتهاها هو لا كما هي، يقول:

حان الوقت لأعيد صياغتك على طريقي...

حان الوقت لأغير هندسة خصرك ومكان الشامات على كتفيك(قباني، الأعمال الكاملة-يوميات امرأة لا مبالية-)، 1999، صفحة 22).

يبدو أن -نزار- حرص كل الحرص على تأكيد خطابه الذكوري المضمر، من منطلق أنه الفاعل/ المبدع الذي له القدرة المطلقة على الصياغة الجسدية، من خلال تأكيده على النسق الذكوري المضمر في الثقافة العربية، الذي ينظر إلى المرأة أنها جسد شبقي لا غير، وقد تحقق ذلك بشكل ابداعي مضاد وقائم

التكوين الفكري السوسيولوجي للكتابة النسوية دراسة في المنجز الفكري النسوي العربي

في الوقت نفسه على أيديولوجية ذكورية بارزة وسائدة، في المجتمعات العربية ردحا من الزمن، ذلك أن خطاب التهكم لا يقع على الرجل بمقدار ما يقع على المرأة -وجهة نظر سوسيولوجية- حيث أن المرأة في المجتمعات العربية قبلت أن تأخذ أدوارا ثانوية من خلال الاحتفاء بجسدها فقط، وأن أنوثتها هي الصورة الحقيقية لهذا الجسد، والدليل على ذلك أنها قبلت بهذه الأدوار وأنها تعرض جسدها في الأدب والفن والرسم والإشهار وغيرها، أي المرأة العربية لها القابلية أن تكون قطعة ديكور في عالم الرجل العربي.

4-التلقي السوسيوالذكوري العربي للأدب الأنثوي.

يبدو أن قراءة إبداع المرأة العربية، ضمن الساحة العربية المعاصرة، له علاقة بالتداولية الإبداعية بين المبدعات العربيات، فحديثنا عن هذه التلقيات له علاقة مباشرة بمختلف الوضعيات السوسيوأدبية للمرأة، ذلك أن أكبر مشكلة تواجهها الكتابة الأدبية النسوية العربية أن متلقيها سلبيون ولا يعيرون أي اهتمام لها، سواء ما كان منها شبقيا، ذلك أن المجتمع العربي ذكوري، سواء في القراءة أم في التلقي لهذه الإبداعات سواء أكانت الفكرية أم الإبداعية، والمشكلة تزيد حدة وتعقيدا لما نتجته بهذا الأدب النسوي لقراءته من طرف المرأة حيث تزيد المرأة المتلقية في إبراز الأنساق الذكورية والتأكيد عليها في تلقيها، ومن ثمة: «يحصل إلغاء شبه كلي لأدبها من خلال إعطاء الرجل المبدع صفة الفحولة الذكورية(الغدامي، 1991، صفحة 86)، ومن ثمة يتحقق نسق الإلغاء للذات المبدعة للكتابة النسوية، وهو ما تؤكد فعليا من خلا ما أدلى به الرواة والنقاد من أنهم لم يعثروا على إبداعات فكرية /أدبية خاصة بالمرأة في العصور القديمة، في مقابل أن إبداعها ظل ضائعا ومجهولا، بسبب سيطرة الأيديولوجية الذكورية في تلك الفترات والتي احتفت أكثر بالأدب الرجالي، الذي اتسم بالدلالات الكبيرة والتي عكست بحق التجربة الذكورية المتجاوزة في الوقت نفسه لتجربة الذات النسائية، التي توارت معانيها البيولوجية وسط دائرة الإبداع الذكوري، فضاعت التجربة الفكرية و الإبداعية النسائية في بدايات ظهورها في القبيلة، مما يعني في جانب آخر أن تجربتها الإبداعية، تم فصلت من حيث لم تدر المرأة مع الرجل المبدع في عصوره القديمة إلى يومنا هذا، وحتى وإن وجدت فهي من حيث الكم قليلة، هذا بالإضافة إلى أن المرأة العربية، منذ العصور ساهمت في ضياع / تهميش الفكر و الإبداع الخاص بها، من منطلق تأكيدها على الفحولة الذكورية في إبداعها، كل هذا أصبح مدعاة لدراسة

سليم بركان

هذه السلسلات من التلقيات لفكرها وإبداعها مع محاولة بيان أهميتها سواء من طرف الرجل ام من المرأة في أدبها، وهذا ما تلمسناه في الساحة العربية المعاصرة.

إن الكثير من المبدعات العربيات لم يجرؤن على كتابة اسمائهن الحقيقية، تفاديا من الوقوع في شرك الأيديولوجيات الذكورة أو لبعض الأحكام القاسية على ابداعاتهن، فهذه الكاتبة "أحلام مستغانمي" التي عاشت وضعا أدبيا سيئا جراء أفعال ابداعاتها الروائية خاصة "ذاكرة الجسد"، التي دخل التشكيك في ملكيتها الروائية الأدبية، لهذه التهمة الملفقة حول فكر/ أدب المبدعة ،ومن ثم رفع التحفظ عن ابداعها للرواية فكان الرد منها سرديا، تقول: «سيقول نقاد يمارسون النقد تعويضا عن أشياء أخرى، إن هذا الكتاب ليس رواية، وإنما هذيان رجل لا علم له بمقاييس الأدب، وأؤكد لهم مسبقا جهلي واحتقاري لمقاييسهم»(مستغانمي، 1993، صفحة 379)، لذلك فإن رؤيتها النقدية كشفت عنها ضمن الرؤية الإبداعية المضادة، من خلال تلك الحملة الشرسة التي حيكت/ دُبرت ضدها، من عدم إمكانية/ قدرة – الأثنى – أن تكتب/تبدع هذا العمل الروائي، والتي نسبت عنوة "للرجل" النكرة روائيـيوسف سعدي- الذي أكد هذه التهمة المدبرة من خلال التزامه بالصمت.

وعليه يمكن التأكيد أن الكتابة النسوية في الوطن العربي محكومة سوسيولوجيا باستدعاء مختلف الأنساق الفكرية الذكورية وبالوضعيات السوسيوأدبية وثقافية في الفضاء الذي تمارس فيه المرأة الابداع، فعلى الرغم من عدم التوافق بين البيولوجي والسوسيويديولوجي من أجل فهم التكوينية الفكرية الإبداعية النسائية، إلا أن التصور لأفعال المتلقي العربي بقي شنيعا وسلبيا، نتيجة التناقض الحاصل بين الوعي الأدبي والوعي الاجتماعي لصور الابداع النسوي في الوطن العربي والتي بات يطغي عليها المعتقد العربي والايديولوجي الذكوري في تصنيف الابداع النسوي.

5-الخاتمة:

ومما سبق يمكن التأكيد على أن تداوليات مصطلحات هذا النوع من الفكر/ الأدب في الساحة الفكرية و الأدبية العربية المعاصرة، بقيت بين مرحب ومنفر لها بين المفكرين والنقاد العرب، غير أنه يمكن الإشارة على

التكوين الفكري السوسيولوجي للكتابة النسوية دراسة في المنجز الفكري النسوي العربي

تداولية مصطلحات بعينها من قبيل: فكر المرأة/ أدب المرأة/ الأدب النسوي/ الكتابة النسائية، وهي إلى حد ما - حسب اعتقادنا- أدت مفهوميها ومدلوليتها النقدية الثقافية في الساحة الفكرية/ الأدبية العربية المعاصرة ، في حين أن الكتابة النسوية في الوطن العربي محكومة بأنساق سوسيولثقافية وأخرى أيديولوجية خاصة منها الذكورية المضمرة في ثنايا إبداع المرأة، لكن تبقى هذه الأنساق تشكل مرجعية فعلية في تكوينية الإبداع الفكري النسوي، ولعل نسق فكر الفحولة الذكورية شكل بحق إطارا بنائيا في عمليات التشكيل الفكري و الإبداعي والقائم فعلة البيولوجي والثقافي والايديولوجي، على تفصله ضمن أشكال الوعي المترسبة/ المتكلسة ردحا من الزمن في الثقافة العربية ، لذلك لم يستطع القارئ العربي تجاوزها سواء في تلقيه الفكري أم الجمالي أم الثقافي، لذلك وجب علينا كقراء مثقفين أن نعيد تلقي هذه المنتجات الفكرية و الابداعية النسوية من منظور أفعالها الفنية والسوسيويديولوجية الفعالة ، ذلك أن الرؤية الفكرية النقدية الثقافية أصبحت تشكل الاطار الفكري النقدي الفعال في فهم وتأويل الكتابة الفكرية النسوية تأويلا قائما على توصيف سوسيوجمالي لتكوينية الابداع النسوي، من خلال تفكيك ثم إعادة بناء مختلف الأنساق البيولوجية والأيديولوجية المضمرة في ثنايا الابداع النسائي، وهو الرهان الذي يحرص عليه التصور الفكري النقدي الثقافي المعاصر من تخليص الكتابة الإبداعية النسائية من مختلف الأيديولوجيات الذكورية التي بقيت مهيمنة على الابداع النسائي ردحا من الزمن في الوطن العربي.

6. قائمة المراجع:

- إسكارييت ر. (1981). سوسيولوجيا الأدب. ترجمة آمال أنطوان. بيروت.
- السمان غ. (1981). القبيلة تستوجب القتيلة. منشورات غادة السمان. بيروت.
- العيد ي. (1991). مساهمة المرأة في الإنتاج الأدبي. 04. مجلة الطريق. لبنان.
- الغذامي ع. (1991). تأنيث القصيدة والقارئ المختلف. المركز الثقافي العربي. بيروت.
- المدغري ن. (2009). النقد النسوي وحوار المساواة. دار أبي رقرق. المغرب.
- بوشوشة ب. (1999). قراءة في النص السردي المغاربي-الرواية نموذجاً. مجلة علامات 237.39، السعودية.

سليم بركان

حفناوي، ب. (2011). مسارات النقد ومدارات ما بعد الحداثة في ترويض النص وتقويض الخطاب. الكتاب الأكاديمي. الأردن

عبد الرحمان عبيد، ول. (2008). تمثيلات الأدب في الرواية النسوية العربية المعاصرة. فضاءات للنشر. الأردن

قباي، ن. (1999). الأعمال الكاملة-يوميات امرأة لا مبالية. منشورات نزار قباي. بيروت.

كيوان، ع. (2003). أدب الجسد بين الفن والإسفاف: مركز الحضارة. القاهرة.

مستغانمي، أ. (1993). ذاكرة الجسد). الجزائر

نيوتن، ك. (1991). نظرية الأدب في القرن العشرين. ترجمة: عيسى علي العاكوب. عين

للدراسات. بيروت